او كان موضوعا على متنه كما ورد فى الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلا كيف لا ولو دل على وجوده
لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول حادث فى العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم
من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما وفى اللباب قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء
ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء
وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو
خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيمة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان
يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الماء اى على
اى شئ كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات
والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات
فى يومين ثم اخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات فى
يومين والسموات فى يومين والارض فى يومين ثم فرغ آخر الخلق فى اليوم السابع قال بعض العلماء
وفى خلق جميع الاشياء وجعلها على متن الماء يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن
له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء
فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى خ عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى
الله عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فاتى ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا بشرتنا
فاعطنا مرتين فتغير وجهه عليه السلام ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى
يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك
عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق
السموات والارض وكتب فى الذكر كل شئ ثم اتانى رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت
فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اقم عن
ابى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان فى عماء ما تحته
هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء اخرجه الترمذى وقال قال احمد يريد بالعماء اى ليس معه
شئ قال ابو بكر البيهقى فى كتابه الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شئ قبله يعنى
لا الماء ولا العرش ولا غيرهما لجميع ذلك غير الله وقوله كان عرشه على الماء يعنى وخلق الماء وخلق العرش
على الماء ثم كتب فى الذكر كل شئ وقوله فى عماء وجدته فى كتابى عماء مقيدا بالمد فان كان فى الاصل
ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله فى عماء اى فوق سحاب مدبر له وعاليا عليه كما قال
أأمنتم من فى السماء يعنى من فوق السماء وقال لاصلبنكم فى جذوع النخل يعنى على جذوعها وقوله ما فوقه
هواء اى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء اى ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك
من العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمعناه لا شئ ثابت لانه مما عمى على الخلق لكونه غير شئ فكانه
قال فى جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء اى ليس
فوق العمى الذى هو لا شئ موجود لا فوقه هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت

له هواء والله اعلم وقال الهروى صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اين كان
عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسئل القرية ويدل على ذلك قوله وكان
عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقى وقال ابن الاثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل
الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد فى الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا
فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى عما
مقصور وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال ابو عبيد انما تاولنا هذا الحديث
على كلام العرب المنقول عنهم والا فلا ندرى كيف كان ذلك العما قال الازهرى فنحن به ولا نكيف
بصفة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه
على الماء وفى رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان
عرشه على الماء بخمسين الف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا انه كان مشغولا
ففرغ منه لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون انتهى ما ذكره صاحب اللباب بحروفه قال الشيخ واستدل بقوله تعالى وكان عرشه
على الماء على امكان الخلاء فانه هو الفراغ الكائن بين الجسمين اللذين لا يتماسان وليس
بينهما ما يماسهما وعلى ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم ولا دليل فيه
على قدم الماء لقوله تعالى هو الاول فان قيل ما الفائدة فى ذكر ان عرشه كان على الماء قبل خلق
السموات والارض فالجواب ان فيه دلالة على كمال القدرة من وجوه احدها ان العرش مع كونه
اعظم منها كان على الماء وفى وقوفه على متن الماء اعظم الاعتبار لاهل الافكار فلولا انه تعالى
قادر على امساك الثقل بغير عمد لما صح ذلك وثانيها انه تعالى امسك الماء لا على مقر والا لزم
ان يكون اجسام العالم غير متناهية وثالثها ان العرش الذى هو اعظم المخلوقات قد امسكه
الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فدل على كمال القدرة وفى
الدر المنثور واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن الربيع بن انس قال كان عرشه على الماء فلما
خلق السموات والارض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفا تحت العرش وهو البحر المسجور فلا تقطر
منه قطرة حتى ينفخ فى الصور فينزل منه مثل الطل فتنبت منه الاجسام وجعل النصف الآخر
تحت الارض السفلى قال ابن الكمال باشا فى تفسيره والعرش عبارة عن قيوميته والماء اشارة
الى صفة الحيوة اذ من الماء كل شئ حى وفى على بيان بناء الاولى على الثانية اى وكان
حيا قيوما فلا دلالة فيه على امكان الخلاء ولا على ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام
هذا العالم وليت شعرى من اين الدلالة على تاخر خلق الماء من خلق العرش قال شيخنا وفى
رد الكمال بتاويله على الاكابر كما هو دابه لا كمال له وان كان ابن باشا وقال بعض الماء بالعلم
~~لانه كان حياة الاجساد~~ اى وكان عرشه على علمه يعنى على علمه يعلمه وشبه العلم بالماء لانه
كما ان حياة الاجساد بالماء كذلك حيوة الارواح بالعلم قلت وان كان للتاويل حلاوة ولكن

Copyright King Saud University